أثر تدبر القرآن الكريم

في منهج المُصْلِحِيْن

دراسة لنموذجين

نبيل بن عبد المجيد النشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن صلاح هذه الأمة في نفسها وإصلاحها لغيرها وريادتها وعلو شأوها وارتفاع شأنها وقيادتها للبشرية ليس ببدعٍ من القول ولا بمحدثٍ من الأحداث فقد جرب التاريخ وعاشت البشرية فترة زمن لا مثيل لها تحت قيادة أمة الإسلام عرفت فيها : حقيقة العدل والعدل الحقيقي ، وذاقت رحيق الحرية الصافي ، وتنفست نسيم الأمن العليل ، وتيقنت معنى حماية الحقوق في ميزان واحد ، لا تدري ما الكيل بمكيالين ولا تفهم ما الوزن بمعيارين ؛ ليس جهلا بل تديُّنًا .

والمعلوم الذي لا يخفى مثله أن ريادة الأمة تلك لم تكن نتاج فكرة سياسية أو حركة اجتماعية أو نشاط فكري أو أي جهد بشري خالص وإنما هو اصطفاء رباني وإكرام إلهي ووحي سماوي اختار الله سبحانه وتعالى له هذه الأمة ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ الجمعة٤ واختار منها نبيا كريما – صلى الله عليه وآله وسلم – ليكون رسوله مبلغا عنه وداعيا إليه وهاديا إلى صراطه وجعل قلبه مستودعا لكلامه ووحيه وأرسله شاهدا ومبشرا ونذيرا وأعطاه ما لم يعطِ أحدا من قبله مثله من المعجزات التي تؤيد دعوته وتقوي حجته وتلجم خصمه وتذيب صخر الباطل أمامه وعلى رأس تلكم المعجزات : القرآن الكريم فهو معجزة المعجزات وحجة الحجج وبرهان البراهين و" هو الصراط المستقيم ، والذكر العظيم ، والكتاب الحكيم والنور المبين والحبل المتين والعروة الوثقى والآية الكبرى وكلمات الله والذكرى والدرجة العليا وهو شفاء الغليل ودواء العليل والبرهان والدليل والبشير والنذير والبصائر والمثاني والقصص والتذكرة والأنباء والآيات المبصرة ، والحكم والبلاغ والتبصرة وحق اليقين والنبأ العظيم والمحفوظ والكتاب الكريم والقول الفصل والهادي والناطق والحق والغيب والمكنون والقول الثقيل والصحف المطهرة والكتب القيمة والكتاب العزيز لا ريب فيه والعصمة والإمام ، والأنس عند الوحشة والفزع ، والأمن عند الخوف والجزع ، والضياء يوم الفتن والظلمة ، والكشف يوم الكرب والغمة ، مَن حكم به عدل ومن عدل عنه هوت قدمه فزل ، ومن استعصم به عُصِمَ ومن استمطر منه الرحمة رحم "[1]

فقام النبي الكريم والمصلح العظيم – صلى الله عليه وآله وسلم – بهذا الكتاب حق القيام وجاهد به حق الجهاد امتثالا لأمر ربه جل وعز في قوله :﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ الفرقان٥٢ فكان القرآن العظيم وهو كلام رب العرش العظيم سبحانه وتعالى قوة هذه الأمة وعنوان شرفها ومنارة مجدها متى ما أخذته بقوة وتعاملت معه كما أريد له فلن يحول بينها وبين سماء العزة وسحاب التمكين شيء .

ومن فضل الله ورحمته بهذه الأمة أن جعل القرآن بين يديها سهل التناول قريب المأخذ ميسرا للذكر { فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ }القمر١٧

---

١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان – ابن القيم – ط : دار الكتب العلمية بيروت – ص ٥

وأمة الإسلام أصلا وجدت للعز وقيادة البشرية وإصلاح الكون بهذا المنهج الرباني والنور الإلهي ووجود المصْلِحِين في هذه الأمة عبر تأريخها لا يخلو منهم بلد ولا تعدم منه فترة زمنية مهما كان حالها، ومهما بلغ الضعف فيها والبعد عن هدي ربها سبحانه وتعالى ، إلا أنه يبقى فيها خيط ولو رفيع ، يربطها بمنهجها السليم وطريقها المستقيم ، ومهما كان هذا الخيط رفيعا لكنه لا ينقطع مهما دق وخفي ، وهذا يدل دلالة قطعية على أنه هذه الأمة لن تموت وأنها أمة منتجة من جهة ، ومن جهة أخرى يدل ظهور المصلحين أيضا في فترات من الزمن على أن هذا الدين دين حي واقعي متجدد صالح لكل زمان ومكان لا يبلى شبابه ولا يخلق ثيابه ، ويحتاج فقط إلى من يعرف مداخله ومخارجه وطرقه ومشاربه ويعرف كيف يقوم به ويدعو إليه .

وإذا كان تعاقب المصلحين في مسرح الأمة عبر سني عمرها الطويل دليل حياتها؛ فإن أعظم دلالة من ذلك أن كل مصلح في هذه الأمة على المنهج السوي لا بد من أن يكون له نوع علاقة خاصة بالقرآن وأن ينطلق من القرآن وأن يكون له اهتمام نوعي بالقرآن ، وأن للقرآن أثرا في دعوته الإصلاحية أيًّا كان نوعها ومجالها ، فعلاقة المصلحين بالقرآن تدبرا وتربية ومنهجا وفكرا وسلوكا علاقة إنشاء وتكوين ثم علاقة حركة وانطلاق ثم علاقة تغيير وإصلاح والتاريخ شاهد صدق ولسان فصيح .

فأي دعوة إصلاحية سنية سوية ستجد القرآن إمامها ومنهجها ، سواء في سيرة قائدها وذاته أو في مسار حياتها وحركتها ، وفي هذه الأسطر التي نالت شرف المشاركة في هذا المؤتمر القرآني العالمي **أسطر بين أيديكم صفحات معدودات عن إمامين من أعظم المصلحين في تاريخ الأمة المعاصر وزمنها القريب، وأبيِّن فيها علاقة هؤلاء العظماء بتدبر القرآن، وكيف أثر تدبرهم للقرآن في دعوتهم الإصلاحية التي غيرت ملامح الأمة في زمن كادت أن تنتهي ملامحها وتختفي علاماتها وتضيع مآثرها** ، وهما الإمام المجدد: **محمد بن عبد الوهاب** رحمه الله تعالى والإمام المجدد: **حسن البنا** رحمه الله تعالى ، شخصان لهما الأثر ، كما جمعهم الهدف ، جمعتهم العناية بالقرآن كما سيأتي معنا وإن فرقتهم الأماكن والبلدان واختلفت فيهم الأزمان ، أرجو أن أقدم شيئا جديدا نافعا في ورقتي هذه، فإن لم يتيسر فليس أقل من أن ألفت عناية أهل التخصص والاهتمام والتمكن ؛ مؤسسات وأفراد ، أن يعطوا الأمر حقه ويقدموا للأمة وللجيل صورة واضحة كاملة عن أثر القرآن عموما وتدبر القرآن خصوصا في دعوة المصلحين وفي إصلاح المجتمعات حتى يوفروا عليهم جهودا وأوقات تبذل بعيدة عن هدي القرآن تبتغي إصلاح الأمة وهيهات .

أسأل الله العلي العظيم أن يرزقنا تدبر القرآن وأن يجعلنا من أهله وأن يبرم للأمة مصلحين على أمر رشد وهدي سديد

وصلى الله على نبيه وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

الأنموذج الأول:

أثر تدبر القرآن في الدعوة الإصلاحية للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى

" إن علاقة دعوة الشيخ بالقرآن الكريم علاقة تلازم وارتباط، فلا يمكن أن تنفك عنه أبداً، وذلك أنها دعوة سلفية سنية، ومن المعلوم أنه من مقتضيات ذلك ولوازمه، بل من أساسياته ومما لا تكون الدعوة سلفية إلا به الاعتماد على كتاب الله تعالى، والإيمان به هدى وبياناً، ومنهجاً وبرهاناً، فهي دعوة نابعة من القرآن وداعية إليه فيجد الناظر– بكل وضوح– أن حامل لواء هذه الدعوة رحمه الله يحث دائماً على النظر في كتاب الله تعالى وتدبرّه، والاهتداء بهديه، والتزود منه والاعتماد عليه، وينزله المنزلة العظمى معتقداً ومنهجاً، جملة وتفصيلاً."[1]

أولاً : كلمات مختصَرة مختصِرة :

١– من هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟

" ذهنية عبقرية، في تكوين سوي، من طراز خارق للمألوف قياسا إلى العادة والزمان والمكان، وفي حاقِّ الجبلة والتكوين ، وقوة نفسية وثقى، متوثبة ومتحدة.. تفرض الهزيمة على القوى المضادة فرضا، وتثبت ثبات طمّاح الذوائب الأشم بوجه الأعاصير، تتناوح من عن يمينه وشماله، ومن أمامه ومن خلفه، تريد زحزحته، فترتدّ عنه وتبيد، وهو (هو) غير مضارّ ، وقيم خلقية صافية صفاء ألق الضياء في يوم الصحو البهيج، ليس دونه حجاب.. ترفعت على شهوات النفس، وتحلت بالإيثار، يصرّفها عقل درّاك وقلب يقظ، وترفدها الركانة والزكانة، والتصور الشمولي الذي يخرج من دائرة الفكر المحدود ليبسط أبعاده على الآفاق. " [2] محمد بهجت الأثري

٢– كيف كان حال الجزيرة العربية قبل ظهور الدعوة :

" كان أهل نجد قبل دعوة الشيخ على حالة لا يرضاها مؤمن "[3] .

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

٣– أهم خصائص دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية :

" إصلاح أوضاع المسلمين وتوجيههم الوجهة الصالحة في عبادة الله تعالى وفق الكتاب والسنة بعيدا عن الجهل والضلال "[4]

---

[1]) منهج محمد بن عبد الوهاب في التفسير – مسعد الحسني (ص: ١٧)

[2]) محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث – الناشر : إدارة الثقافة والنشر – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ص (١٠ – ١١) .

[3]) الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته – (ص: ٢٥)

[4]) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده – عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع (ص: ٢٧٩)

٤- ما هو السلاح السحري الذي كان لدى الشيخ حيث استطاع تحويل هذه الأمة التي تغلب العامية عليها وانتشار الجهل فيها إلى أمة متعلمة موحدة مدركة مجاهدة؟

" الذي استقر عندي بالتتبع أن الشيخ أحسن توظيف النص القرآني والنبوي والذي به الحياة لقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾.الآية وقوله جل شأنه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ فالإمام رحمه الله أحسن الاستدلال بالنصوص وربط القلوب بكلام خالقها فأثر فيها وغيرها.فالقلوب تحييها النصوص" .[١]

الشيخ عبد الله السبت

٥- ثمرة دعوته :

" كل ما حدث في نجد وأرجائها من الإصلاحات الطيبة في حياة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - أو بعد وفاته، إنما كان نتيجة لدعوته وإخلاصه. والحقيقة أنه لم يقم فقط بانقلاب في أهل نجد وعقائدهم وأخلاقهم، بل لقد غيرها من العقب إلى الرأس "[٢]

ثانيا : معالم عامة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تدل على اهتمامه بالقرآن عموما :

١- حفظه للقرآن في سن مبكرة (قبل تمام العاشرة)[٣] .

٢- كان الشيخ _ رحمه الله _ متعبدا يحيي غالب الليل صلاة ، قراءة وتهجدا[٤]

٣- التأليف في علوم القرآن : فضائل القرآن — استنباط القرآن (تفسير) .

٤- الاعتماد على الدليل من القرآن والسنة في تقرير المسائل والفتاوى التي كان يقررها ويفتي بها الناس .

٥- ظهور أثر التدبر في مؤلفاته حيث يعتمد في ترجمة الأبواب على الآيات القرآنية مباشرة مما يوحي بمعناها وهداياتها وإن لم يذكرها نصا من كلامه وخاصة كتاب التوحيد .

٦- اهتمامه في تفسيره واستنباطاته بالربط بين الواقع وبين المعاني المفهومة من الآيات في سبيل إصلاح المجتمع وعلاجه من أدوائه، وربط الناس بكتاب الله ليأخذوا منه مباشرة ويهتدوا بهداه. وقد ظهر هذا الجانب في تفسيره ومنهجه نصاً واستقراء ومن ذلك قوله: اعلم أن الله سبحانه عالم بكل شيء يعلم ما

---

١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه للشيخ أحمد بن حجر بن طامي آل بوطامي — من مقدمة الشيخ عبد الله السبت رحم الله الجميع (ص:٣- ٤)

٢) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه - مسعود الندوي (ص: ٧٣)

٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم - عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ١٨

٤) المصدر السابق ص ٢٧

يقع على خلقه، وأنزل هذا الكتاب المبارك الذي جعله تبياناً لكل شيء وتفصيلاً لكل شيء وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر ومن بعدهم، كما جعله هدى لأهل القرن الأول ومن بعدهم[1]

ثالثا : أثر تدبر القرآن الكريم في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية :

مما لا شك فيه أن المصلحين العظماء يمتلكون من المواصفات والقدرات ما يجعلهم يقومون بالمهمة العظيمة مهمة إصلاح المجتمعات وهم غير مكترثين بالمخذل وغير خائفين من المخالف، يسيرون في تحقيق أهدافهم مهما كلفهم ذلك ، ويمدهم الله سبحانه وتعالى بعونه وتوفيقه لما يعلم صدقهم واستعدادهم لتحمل المشاق في سبيل إصلاح المجتمع وتصحيح الحياة ، ومما جعله الله تعالى روحا تسري وقوة تدعم كتابه الكريم كما قال سبحانه وتعالى ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢)** ﴾ الشورى٥٢ وكما مر معنا فهو نور وهدى وبيان ، ولذلك فالمصلحون من هذا الكتاب العظيم يستمدون قوتهم ويعززون عزيمتهم ويسقون يقينهم من خلال تدبرهم له وعيشهم معه وأنسهم به ومعاهدته قراءة وعملا ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب أحد أولئك المصلحين الذين ظهرت في دعوته الإصلاحية آثار تدبر القرآن ، نقف عند نموذجين من أعمال الشيخ محمد نبين فيها منهج الشيخ التدبري وكيف أثر في دعوته الإصلاحية :

العمل الأول : كتاب التوحيد :

إذا اتفقنا على أن كتاب التوحيد يعتبر منهجا إصلاحيا نموذجيا في باب إصلاح العقيدة فلا أخالنا إلا أن نتفق على أن كتاب التوحيد نموذج لثمار التدبر لآيات من القرآن الكريم وأحاديث من السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وهو أشهر مؤلفات الشيخ – رحمه الله – والاسم الكامل لهذا الكتاب هو "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، وذكر فيه الشيخ حقيقة التوحيد وحدوده، والشرك ومفاسده، وفصل القول في جميع تلك الطرق التي تؤدي إليه كالاستعاذة والاستغاثة بغير الله، والتوسل ودعاء غير الله والنذر والذبح لغيره والسحر والكهانة والتطير وغيرها.

ولم يأت بأفكاره إلا القليل ، بل اكتفى في كل باب بذكر براهين واضحة وصريحة من الكتاب والسنة.

ولقد حظي هذا الكتاب بالقبول العام، وسارعت إليه الأيدي وطبع بالآلاف وترجم بلغات عديدة.[2]

ومما يدل على أثر التدبر في منهج الشيخ في كتابه التوحيد :

١– الكتاب يحتوي على (٦٦) بابا (١٥) بابا منها ترجمته آية قرآنية .

٢– ٢٧ باب من أبواب الكتاب يلحق الترجمة مباشرة بعطف آية قرآنية دون إضافة أي فاصل من كلام إنشائي مثل قوله : باب من الشرك : إرادة الإنسان بعمله الدنيا وقوله تعالى : "﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥)** ﴾ هود١٥ — ١٦ ومثله كثير من الأبواب .

---

[1]) منهج محمد بن عبد الوهاب في التفسير — رسالة علمية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – مسعد بن مساعد الحسيني .ص ٤

[2]) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه – مسعود الندوي – بتصرف يسير (١٣٥ – ١٣٦) .

٣- تقريره مسائل العقيدة من خلال الدلالة عليها بآيات من القرآن دون شرح أو تفسير فمثلا وهو يقدم رؤيته الإصلاحية في موضوع التحذير من الذبح لغير الله فيستدل بقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأنعام الآية ١٦٢، وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ الكوثر الآية ٢. دون أن يضيف عليها أي تعليق من عنده ثم يردف الآيتين بحديثين من السنة ، رغم أن لفظ الآيتين ليس فيه تحذير أو نهي مباشر عن الذبح لغير الله لكن تدبر الشيخ رحمه الله وفقهه للآية وإيحاءه أيضا للقارئ بتدبر تلك الآيات والأحاديث.

٤- نوعية المسائل التي يلخصها في آخر الأبواب ويستخرجها من الآيات والتي تدل بكل بوضوح على تدبر الشيخ للآيات والأحاديث في الباب.

٥- عدد المسائل التي يذكرها الشيخ للأبواب فبعضها بلغ ثلاثين مسألة .

٦- تراجم الأبواب التي من إنشاء الشيخ رحمه الله وليست نصا من آية أو حديث عبارة عن ثمرة تدبر لآية أو حديث .

- أمثلة من كتاب التوحيد تدل على أثر التدبر في إصلاح الجانب العقدي في المجتمع :

المثال الأول : في الباب رقم (٤) وهو يتكلم عن الدعوة إلى شهادة التوحيد قال : (الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله[1]) ليوضح المنهج السوي في الدعوة إلى إصلاح عقيدة الناس وعلى رأس ذلك الدعوة إلى شهادة التوحيد وأثر تدبر القرآن في منهجه الإصلاحي في هذه القضية في أمور منها :

١- ذكر قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف آية : ١٠٨ ، ومن أثر التدبر فيها أن الدعوة إلى شهادة التوحيد أنها دعوة إلى الله وأنها تحتاج إلى بصيرة وهذا سبيل الأنبياء وأتباعهم .

٢- ثلاثون مسألة ذكرها على هذا الباب عدد منها يدل على التدبر وأثره في معالجة القضايا وكذلك في غيره من الأبواب فهو يذكر مسائل ليست تفسيرا ولا شرحا وإنما وقفات وفوائد من تدبر الآيات والأحاديث تدل على دربة الشيخ واهتمامه واستخدامه لمنهج التدبر للنصوص في علاجه لقضايا مختلفة رحمه الله وفي مسائل هذا الباب وهو يناقش قضية الدعوة إلى شهادة التوحيد مما ذكر من المسائل:

قوله في المسألة الأولى : أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي الثانية قوله : التنبيه على الإخلاص، لأن كثيرا لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه ، وفي الثالثة قوله : أن البصيرة من الفرائض ، وفي السادسة قوله : وهي من أهمها - إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم، ولو لم يشرك ، وفي الثامنة قوله : أنه يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة ، وفي العاشرة قوله : أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها ، وفي الحادية عشرة قوله : التنبيه على

---

[1]) التوحيد ، محمد بن عبد الوهاب تحقيق عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره ص ٢٠

التعليم بالتدريج ، وفي الثانية عشرة قوله : البداءة بالأهم فالأهم[1] . وهكذا في كثير من المسائل في مختلف الأبواب في الكتاب

المثال الثاني : في الباب رقم (١٨) وهو يضع منهجا لإصلاح المجتمع في مشكلة الغلو في الصالحين التي لا يكاد يخلو منها زمان ولا مكان قال : (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلوُّ في الصالحين[2]) يظهر أثر التدبر فيها بأمور منها :

١- عطف على الترجمة بقول الله عز وجل " ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ النساء١٧١ ، رغم أن الآية لا يوجد فيها تصريح بكفر بني آدم بسبب غلوهم في الصالحين إلا أن الشيخ رحمه الله استشهد بها على الترجمة ولا شك أن الترجمة نتيجة تدبر للآية ومثيلاتها.

٢- تدبره للآية رحمه الله جعله يستشهد بها على الترجمة فقول الله تعالى :" ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ النساء١٧١ ، خاصة بالحديث عن أهل الكتاب وموقفهم من عيسى عليهم السلام حيث فيها قوله تعالى { ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ ، فهذا غلو أهل الكتاب في رسول من رسل الله فكيف بالغلو في الصالحين ، ولأن بني إسرائيل غلوا في عيسى حتى جعلوه ابنا لله – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا – فكفروا بذلك وكان سبب كفرهم غلوهم في نبي من الأنبياء كما قال الله تعالى ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ المائدة٧٢ وقال ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ المائدة٧٣ فجعل رحمه الله الغلو في الصالحين في هذه الأمة مقابل ذلك .

٣- ذكر في الباب عشرين مسألة مستفادة من الآيات والأحاديث المذكورة في الباب وكلها نتيجة تدبر ولا شك وليست تفسيرا لها ولا شرحا مثل قوله في المسألة الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب[3] ، فمن جوانب الاتجاه الإصلاحي عند الشيخ: استنباط ما يتعلق بإيضاح المنهج الصحيح لاتباع الأئمة المهتدين من خلال الآيات، وذلك أن

---

[1]) التوحيد – محمد بن عبد الوهاب – تحقيق عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره ص (٢١ – ٢٣) .

[2]) التوحيد – محمد بن عبد الوهاب – تحقيق عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره ص ٥٦

[3]) كتاب التوحيد – تحقيق عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد وغيره ص ٥٧.

الحاجة ماسة لإيضاح ذلك، حيث أن الفترة التي قام فيها الشيخ بدعوته قد عم فيها الجمود في التقليد الأعمى، وتجاوز ذلك التقليد في الفقه إلى التقليد في العقيدة، بل في أي عقيدة، ومهما كان ذلك المقلد سواءً أكان ذا منزلة علمية وصلاح، أم لا فحاد كثير من الأتباع عن منهج الاتباع الصحيح، فمنهم من يزعم أنه يحب الصالحين، وأنهم سلفه، ولكنه في العمل مخالف لهم ولهديهم، ومنهم من يعتقد فيهم فوق مالهم ، فلذا لاحظ الشيخ هذا الأمر الخطير، وظهر في كتبه التنبيه إليه، والتحذير من ضرره في غير موضع[1] .

العمل الثاني : كتاب استنباط القرآن (التفسير) :

لو صح تغيير أسماء الكتب بغير ما وضعه لها مؤلفوها لكان كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله " استنباط القرآن " جديرا بأن يسمى " تدبر القرآن " فما ذكر فيه من استنباطات ما هي إلا تدبرا للآيات التي وقف عندها فـ"عند تأمُّلِ عملية الاستنباط يظهر أنَّ فيها إعمال فكر ونظر، فيتدبَّرُ المتدبر ما يحتويه معنى الآيةِ من وجوه الاستنباطاتِ والفوائد، وهو تدبُّرٌ لاستخراج الحِكَمِ والأحكامِ والآدابِ وغيرِها مما يستنبطُه المستنبطُ، وهذا يعني أنَّ الاستنباطات نتيجةٌ للتَّدبُّرِ[2] .

ولما كانت " أظهر السمات البارزة في تفسير الشيخ رحمه الله هي الدعوة إلى الإصلاح الشامل في جميع شئون الحياة التي تكدرت بما شابها من زيف وانحراف في الأصول والفروع "[3] فدل هذا على الأثر الكبير لتدبر القرآن الكريم في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية وعلى أهمية كتاب " استنباط القرآن " في منهج إصلاح المجتمع[4]

" ولذلك نرى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى يسعى للربط بين الواقع وبين المعاني المفهومة من كتاب الله العزيز، نصحاً وإيضاحاً لما يشكل، وتفنيداً وتزييفاً لما يبطل، كما هو واضح من استنباطاته واهتماماته المتميزة بالنص على الفائدة.

يقول رحمه الله:- اعلم رحمك الله أن الله سبحانه عالم بكل شيء، يعلم ما يقع على خلقه، وأنزل هذا الكتاب المبارك، الذي جعله تبياناً لكل شيء، وتفصيلًا لكل شيء، وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر، ومن بعدهم كما جعله هدى لأهل القرن الأول ومن بعدهم"[5]

أولاً : مظاهر تدل على أثر التدبر في منهج الشيخ محمد في كتابه " استنباط القرآن " :

---

[1] منهج محمد بن عبد الوهاب في التفسير - مسعد بن مساعد الحسيني الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتصرف يسير جدا (ص: ٢٠٦)

[2] مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر – د مساعد بن سليمان الطَّيَّار (ص: ١٩٩) بتصرف

[3] منهج محمد بن عبد الوهاب في التفسير – مسعد بن مساعد الحسيني — ص : ١٩٤

[4] وهي دعوة نوجهها للهيئة العالمية لتدبر القرآن بأن تولي هذا الكتاب رعاية جديدة ومناسبة تليق بمكانته .

[5] السابق ص ١٩٤

١- أن الكتاب كله عبارة عن استنباطات ناتجة عن إعمال الفكر والقلب أي تدبر وتأمل في الآيات وعلاج الواقع بها "فلم يقف عند مجرد سرد أقوال المفسرين بل استفاد منها مع ما آتاه الله من الفهم، ومعرفة شأن القرآن، وأحوال المجتمع"[1].

٢- الشمولية في الاستنباط إذ لا يقصر النظر على جانب واحد في الآية بل يستنبط كل ما يظهر تعرض الآية له أوجله[2].

٣- عدد الاستنباطات في الموضع الواحد حتى وصل بعضها إلى قريب من المائة كما في قصة موسى والخضر في سورة الكهف .

٤- النوعية والتركيز في الاستنباط : منهج "في سبيل تحقيق الإصلاح الشامل يركز على ناحيتين عظيمتين لا تجدي إحداهما بدون الأخرى.

الناحية الأولى: التركيز على القوة العلمية : وقد نال استنباط ما يتعلق بالاهتمام بالعلم الصحيح والتحذير من ضده عناية كبيرة من قبل الشيخ، ولا غرو في ذلك إذ أن استنباطاته من كتاب الله الذي وضحت فيه العناية البالغة بهذا الجانب.[3]

" الناحية الثانية: التركيز على القوة العملية :يركز الشيخ من خلال استنباطاته على العمل كما ركز على العلم تركيزاً بالغاً، وذلك أنه ثمرة العلم، بل أنه يرى أن العلم الذي لا يثمر العمل لا يسمى علماً١. وإن سمي علماً، فإنه علم لا ينفع- والعياذ بالله- ، وأعظم ما اهتم الشيخ بإصلاحه في مجال القوة العملية إصلاح الجانب الاعتقادي.

إذ العقيدة هي المثمرة للعمل، ومن ثم يسهل إصلاح الحياة بجميع نواحيها الاجتماعية والسياسية وغيرها، للارتباط الوثيق بينها وبين العقيدة، وخصوصاً إذا نظرنا إلى العقيدة تلك النظرة الشمولية المستوعبة لجميع شئون الحياة.[4]

٥- ظهور الاتجاه الإصلاحي في استنباطات الشيخ وتفسيره وعمله على إصلاح ما حوله من خلال وقفاته واستنباطاته التدبرية للآيات والمقاطع القرآنية إصلاحا شاملا يعم جوانب الحياة المختلفة[5]

ثانيا :مثال من كتاب " استنباط القرآن " يدل على أثر التدبر في منهج الشيخ محمد الإصلاحي :

---

١) منهج محمد بن عبد الوهاب في التفسير – مسعد الحسيني (ص: ٢٢)

٢) المصدر السابق .

٣) السابق ص : ١٩٤ .

٤) السابق ص: ٢٠١

٥) منهج محمد بن عبد الوهاب في التفسير - مسعد بن مساعد الحسيني – ص : ١٩٤.

يعتبر كتاب " استنباط القرآن "— كما مر — كتاب تدبر ، وكله أمثلة على أثر التدبر في منهج الشيخ الإصلاحي غير أننا نقف هنا عند مثال واحد للدلالة على ذلك والتوضيح لهذه القضية ويمكن الرجوع إلى الكتاب للوقوف عند استنباطات ومناقشة الشيخ للقضايا وعلاجه للأمور وتدبره للآيات بغية إصلاح خلل ما في المجتمع.

المثال[1] : عند استنباطاته في سورة يوسف ذكر قول الله سبحانه وتبارك وتعالى: ﴿ **قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠** ﴾ يوسف (٣٧ — ٤٠) .

يقول عليه السلام: إني عليم بتعبير الرؤيا هذه وغيرها، فلا يأتيكما طعام "في المنام" إلا نبأتكما بتأويله قبل إتيانه فكيف بغير ذلك!

استنبط الشيخ من هذه الآيات خمسة وعشرين مسألة مختلفة منها ما يدل على أثر التدبر في منهج الشيخ في إصلاح المجتمع ومن ذلك :

الثالثة: ذكر — أي يوسف عليه السلام – سبب إكرام الله له بهذا الفضل، وهو الترك والفعل، فترك الشرك الذي هو مسلك الجاهلين، واتبع التوحيد الذي هو سبيل أهل العلم من الأنبياء وأتباعهم.

وفي هذه إلماحة إصلاحية صريحة من الشيخ في باب العقيدة وبيان خطورة الشرك وأهمية التوحيد .

الرابعة: ذكره أنه من ذرية هؤلاء الأكرمين فانتسب إلى البيت الذي هو أشرف بيوت أهل الأرض، وهذا جائز على غير سبيل الافتخار خصوصا عند الحاجة.

وكأن الشيخ يعالج قضية الفخر بالأنساب في زمانه بهذا الأسلوب الرائع .

السابعة: قوله: {مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} قيل معناه: إن الله عصمنا. وهذه الفائدة من أكبر الفوائد وأنفعها لمن عقلها، والجهل بها من أضر الأشياء وأخطرها.

أسلوب قوي من الشيخ رحمه الله في لفته الأنظار للاهتمام بهذه القضية .

الحادية عشرة: إزالة الشبهة عن المسألة التي هي من أكبر الشبه، وذلك أن الله. إذا تفضل بهذا "كله" خصوصا البيان، فما بال الأكثر لم يفهم، ولم يتبع، وما أكثر الجاهلين "بهذا"، وما أكثر الشاكين فيه! "فقال" تعالى إن "السبب أن" جمهور الناس "لم يشكروا" ، فأما من عرف "نعمة الله" فلم يلتفت إليها فلا إشكال فيه، وأما من لم يعرف فذلك لإعراضه، ومن أعرض فلم يطلب معرفة دينه فلم يشكر.

---

[1]) انظر الجزء المحقق من تفسير الشيخ محمد بن الوهاب في منهج محمد بن عبد الوهاب في التفسير (ص: ٣٢٧) وما بعدها بتصرف

يريد الشيخ رحمه الله تعالى أن يدعو الناس إلى معرفة دينهم ويصلح فيهم الخلل المعرفي من خلال تدبره لهذه الآيات فيبين حقيقة الشكر وموانع الفهم وعدم الإتباع .

التاسعة عشرة:- بيان أن الواجب على العبد في الأديان السؤال عما أمر الله به ونهى عنه، وهو السلطان المنزل من السماء، لا يعبد بالظن وما تهوى الأنفس.

يوضح في هذه المسألة خطورة الهوى والظن والذي كانت عوائق من عوائق الإصلاح والتغيير في زمنه رحمه الله وفي غيره.

العشرون:- القاعدة الكلية التي تتفرع منها تلك المسائل الجزئية وهي أن أحكام الدين إلى الله لا إلى آراء الرجال كما قال "تعالى": ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠ ﴾.

لما كان التقليد لآراء الرجال سائدا ومسيطرا على كثير من الناس كان لا بد من الوقوف أمامه وإصلاح هذا الجانب في دين الناس وللشيخ محمد جهود عظيمة في هذا الباب حصل له بسببها كثير من المتاعب وهو في هذه المسألة يبين بجلاء هذه القضية ويؤكد أنها قاعدة كلية لا تقبل النقاش .

الحادية والعشرون: إذا ثبت أن الحكم له وحده دون الظن وما تهوى الأنفس فإنه سبحانه حكم بأن العبادة كلها محصورة عليه وحده ، ليس لأحد من أهل السماء وأهل الأرض منها شيء.

وقفة تدبرية يعالج فيها قضية الحاكمية .

الرابعة والعشرون: أنه ينبغي للعالم إذا سأله العامي عما لا يحتاج إليه، أو سأله عما غيره أهم منه أن يفتح له بابا إلى المهم.

يوجه بهذه المسألة الدعاة والعلماء إلى رفع همم الناس ومستواهم في التفكير بلفتة تدبرية بديعة .

وهكذا في سائر مسائله التي يستنبطها من الآيات ، فإنه إما تصريحا أو تلميحا يسعى لإصلاح المجتمع بها والله أعلم

الأنموذج الثاني:

أثر تدبر القرآن في الدعوة الإصلاحية للإمام حسن البنا رحمه الله تعالى

الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين رحمه الله تعالى غني عن التعريف ولأن محور حديثنا عن علاقته بالقرآن وأثر التدبر على منهجه الإصلاحي فليس أقل من أن نسميه كما سماه الصحفي الأمريكي في مقال له في زمن الإمام رحم الله بـ" الرجل القرآني " لشدة ارتباطه وعلاقته بالقرآن وانطلاقه من القرآن فقد قال رحمه الله :

" إن القرآن الكريم كتاب جامع جمع الله فيه أصول العقائد و أسس المصالح الاجتماعية ، و كليات الشرائع الدنيوية ، فيه أوامر وفيه نواه ، فهل عمل المسلمون بما في القرآن فاعتقدوا وأيقنوا بما ذكر الله من المعتقدات ، و فهموا ما أوضح لهم من الغايات ؟ وهل طبقوا شرائعه الاجتماعية و الحيوية على تصرفاتهم في شؤون حياتهم ؟ إن انتهينا من بحثنا أنهم كذلك فقد وصلنا معا إلى الغاية ، و إن تكشف البحث عن بعدهم عن طريق القرآن و إهمالهم لتعاليمه و أوامره فاعلم أن مهمتنا أن نعود بأنفسنا و بمن تبعنا إلى هذا السبيل"[١]

ولما تأمل حال الأمة مع القرآن لخص الوصف بعبارة بديعة فقال :

" ما رأيت ضائعاً أشبه بمحتفظ به ولا مهملاً أشبه بمعني بشأنه من القرآن الكريم في أمتنا هذه : أنزل الله القرآن الكريم كتاباً محكماً ونظاماً شاملاً وقواماً لأمر الدين والدنيا ، (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت:٤٢)[٢].

أولا : كلمات مختصَرة محتصِرة :

" ولا ريب أن حسن البنا كان من أقوى الناس صلة بالقرآن الكريم حفظا واستظهارا له ، وتلاوة لآياته ، وفهما وتدبرا لمعانيه ، كأنما المصحف مائدة ممدودة بين يديه يأخذ منها ما يشاء بيسر وسهولة [٣]

- **الحال قبل ظهور دعوة الإمام البنا رحمه الله تبارك وتعالى .**

" إن الذي عرف الشرق العربي الإسلامي في فجر القرن العشرين وعرف مصر بصفة خاصة عرف ما أصيب به هذا الجزء الحساس الرئيسي من جسم العالم الإسلامي من ضعف في العقيدة والعاطفة ، والأخلاق والاجتماع ، والإرادة والعزم ، والقلب والجسم ..... عرف رزية الإسلام والمسلمين ونكبة الدعوة الإسلامية في هذا الجزء الذي يجب أن يكون زعيما للعالم العربي كله وزعيما للعالم الإسلامي .

إن كل من عرف ذلك عن كثب لا عن كتب وعاش متصلا به عرف فضل هذه الشخصية التي فاجأت مصر ثم العالم العربي والإسلامي كله بدعوتها وتربيتها وجهادها وقوتها الفذة التي جمع الله فيه مواهب وطاقات قد تبدو متناقضة في عين كثير من علماء النفس والأخلاق ومن المؤرخين والناقدين" [٤] الشيخ أبو الحسن الندوي

---

[١]) رسائل الإمام حسن البنا : ص ٢٤ .

[٢]) السابق ص : ٨٤ .

[٣]) نظرات في كتاب الله للإمام البنا جمعه : عصام تلمية (ص : ٩)

[٤]) من مقدمة مذكرات الدعوة والداعية للإمام حسن البنا رحمه الله تعالى .

ثانيا : معالم عامة في حياة الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى تدل على اهتمامه بالقرآن عموما :

١- حفظ نصف القرآن الكريم في قرية المحمودية (قريته) وفي مدرسة الرشاد الديني والنصف الآخر في المنزل وفاء لعهد قطعه على نفسه أمام والده حينما ترك مدرسة الرشاد الديني .

٢- نال الدرجة النهائية في مادة تفسير القرآن الكريم في امتحان ليسانس كلية دار العلوم عام ١٩٢٧ م .

٣- كان يختم القرآن مرة كل أسبوع .

٤- كان يصلي التراويح في رمضان بجزء من القرآن يوميا .

٥- تولى كتابة مواضيع التفسير في عدد من الصحف بشكل دوري منها الأسبوعي ومنها الشهري مثل : جريدة الإخوان المسلمون الأسبوعية ، مجلة النضال ، مجلة النذير ، مجلة الإخوان المسلمون ، مجلة الشهاب .

٦- بعد إعادة صدور مجلة المنار بعد وفاة صاحبها ومؤسسها الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى تولى الإمام حسن البنا كتابة التفسير فيها وقام بتفسير سورة الرعد ثم توقف صدور المجلة .

٧- ربط الناس بالقرآن مباشرة ويذكر في ذلك قصة حصلت له يقول : سألني أحد الإخوان عن أفضل التفاسير وأقرب طرائق الفهم لكتاب الله تبارك وتعالى ؟ فكان الجواب على سؤاله بهذه الكلمة : (قلبك) فقلب المؤمن ولا شك هو أفضل التفاسير لكتاب الله تبارك وتعالى وأقرب طرائق الفهم أن يقرأ القارئ بتدبر وخشوع وأن يستلهم الله الرشد والسداد[١] .

٨- اهتمام البنا رحمه الله بتربية تلاميذه وأتباعه على أن يكون لهم ورد يوميا من القرآن وحث على ذلك وأكد عليه بل جعل من وجبات الفرد المؤمن بفكرته ودعوته أن يكون له ورد يومي من كتاب الله لا يقل عن جزء ، وأن يجتهد ألا يختم في أكثر من شهر ، ولا في أقل من ثلاثة أيام ، وأن يحسن تلاوة القرآن و الاستماع إليه والتدبر في معانيه[٢].

٩- أسند إليه تحرير مجلة المنار بعد إصدارها بعد وفاة مؤسسها الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى خلال سنة ١٩٤٠ م فكتب فيها تفسير سورة الرعد ، ثم أغلقت المجلة بعد صدور ستة أعداد منها .[٣]

١٠- كثرة استدلاله واستحضاره للآيات القرآنية في خطاباته وكلماته وإن كانت مرتجلة ومقالاته فلا تكاد تخلو صفحة من مقالة يكتبها من آية أو آيات مهما كان الموضوع.

ثالثا : أثر تدبر القرآن في دعوة الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى الإصلاحية :

---

[١] راجع في كل ما سبق من معالم عامة مقدمة كتاب : مقاصد القرآن الكريم للإمام حسن البنا جمع وتحقيق : أحمد سيف الإسلام حسن البنا رحمه الله تعالى .

[٢] انظر رسائل الإمام البنا (١ / ٣٧٩) .

[٣] نظرات في كتاب الله للإمام البنا جمع عصام تليمة (ص : ٨٧)

أنزل الله سبحانه وتعالى كتابة رحمة وهداية للناس وأمر بتدبره والتفكر في آياته كما قال سبحانه وتعالى {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }ص٢٩ وجعل تدبره والتأمل فيه وفهمه طريقا لمعرفته تبارك وتعالى وسببا لنيل ما في هذا الكتاب من الرحمة والتوفيق والتأييد والنصر الإلهي ولذا قلما تجد مصلحا مخلصا إلا وله من هذا الباب نصيب ظهر للناس أو لم يظهر ، فقوة القرآن الكريم وأثره والروح التي يبعثها في نفوس من يعيش معه وبه تفجر الطاقات وتقوي العزائم وتبدد المخاوف وتزيح الأوهام وتدفع بصاحبها دفعا نحو العمل لله تبارك وتعالى ولليوم الآخر ومن يقرأ في سيرة الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى يشهد شيئا من ذلك ، ولا أظننا نختلف في أثر تدبر القرآن في منهج الشيخ البنا الإصلاحي لبيانه ووضوحه غير أننا في هذا المقام نؤكد ذلك بمثالين بارزين في حياة الإمام رحمه الله تبارك وتعالى :

المثال الأول : حديث الثلاثاء أو " نظرات في القرآن الكريم " :

إذا شئت أن تسمي لقاء الثلاثاء الذي كان يقدم فيه الإمام البنا رحمه الله – تبارك وتعالى – محاضرته الأسبوعية بـ"لقاء تدبر " فلن تجانب الصواب وقلما تجد معترضا يعرف ماذا كان يقدم الشيخ البنا في تلك الليالي ، فقد كان الحديث في هذه الليلة المشهودة حول القرآن كما وعد بذلك وأنفذ البنا رحمه الله تبارك وتعالى حيث قال : " وعدنا أن يكون كلامنا في هذه الليلة نظرات في كتاب الله تبارك وتعالى ولست أقصد بهذه النظرات أن تكون إحصاء لحقائق علمية ولا عرْضا لمذاهب خلافية أو لكثير من وجوه التفسير ، لم أقصد هذا ولكن قصدت إلى أمر واحد أحب أن أذكره لكم ، ذلك أني أريد أن أمهد سبيل الفهم لكتاب الله بين يدي من يقرأه ، أريد أن أعرض للمعاني الكلية وأن أفسح باب الفهم لكتاب الله تبارك وتعالى "[1] بل صرح بأن الهدف النهائي هو التدبر لكتاب الله تبارك وتعالى حين ذكرهم مرة أخرى بالكلام السابق وموضوع الحديث في هذه الليالي فقال : " أحب أن أذكر الإخوان بأننا حين أن نلقي بهذه النظرات لا نقصد بها إلى استيعاب علمي أو تحليل فني وإنما نقصد بها إلى توجيه روحي وعقلي للمعاني العامة والكلية التي ألم بها كتاب الله تبارك وتعالى حتى يكون لنا من هذا التوجيه معين على الفهم في القرآن الكريم حين نتلوه وحين نقرأه فنكون بذلك قد أخذنا بسنة التدبر ونكون بذلك نفذنا أمر التدبر والتذكر والإدكار المذكور في كتاب الله تبارك وتعالى"[2] ومما يزيد الأمر بيانا والحجة قياما : عناوين تلك المواضيع التي كانت تقدم في تلك الليالي ومنها مثلا : الإنسان في القرآن ، الكون في القرآن ، القرآن والحقائق العلمية ، الكون غير المنظور في القرآن ، حقوق الإلوهية في القرآن ، الجزاء في القرآن ، المرأة في القرآن ، واجبنا نحو القرآن ، الفكرة الاقتصادية في كتاب الله ، نظرة عامة في كتاب الله ، أقصر سور التنزيل ، الرسالة العامة في كتاب الله . ونحوها مما يعطي انطباعا أوليا أن منهج التدبر في إصلاح الأوضاع ومناقشة القضايا كان سمة بارزة في دعوة الإمام البنا الإصلاحية في المجتمع بل ذكر صراحة أننا لن نعود إلى

---

[1] نظرات في كتاب الله للإمام البنا – أعدها للنشر : أحمد عيسى عاشور (ص : ٩) .

[2] السابق (ص : ٧٥) .

مثل ما كان عليه المجتمع الإسلامي الأول والدولة الإسلامية الراشدة " إلا إذا نظرنا إلى كتابنا وأوامره ، وطبقنا ما فيه على كل شيء في حياتنا "[١]

المثال الثاني : مقالات الإمام البنا رحمه الله تبارك وتعالى في التفسير :

رغم كتب الإمام البنا رحمه الله تعالى الكثيرة وأحاديثه حول الآيات القرآنية ونظراته في كتاب الله تبارك وتعالى فليس له تفسير مستقل لكن بكل جزم فإن له مقالات في التفسير نشرت في عدد من المجلات والصحف في حينها أو محاضرات وخطب ألقيت في زمانها تقوم في مجملها على التفهم والتدبر للآيات وإصلاح الوضع بهداياتها ومدلولاتها ، تأمل في مقاله التدبري الآتي كيفية طريقته في طرح وعلاج قضايا إصلاح الأمة من خلال تدبره لآيات من كتاب الله تبارك وتعالى كمثال على ما نقول :

بعنوان : من وسائل إعداد الأمة وقف الإمام رحمه الله تبارك وتعالى عند قول الله تبارك وتعالى ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾

من خلال تدبره للآيات السابقة يضع منهجا إصلاحيا لإعداد الأمة لوراثة الأرض وسيادتها يقول : يقول المربون إن أعظم مظاهر القوة في الإنسان أن يتغلب على ما يحيط به وأن يخضع الصعاب لإرادته ، وإذا وصلت الأمة إلى هذا الحد فلم تتأثر بالحوادث ولم تبال بالعقبات وكان عندها من المناعة الطبيعية ما يحول بينها وبين تسرب الوهن إليها كانت خليقة بأن ترث الأرض وتسود الدنيا وتحسن الخلافة في الكون"[٢] .

بعد أن يقرر هذه القاعدة يقفز بك إلى الآيات القرآنية المذكورة في رأس مقاله بعد عنوانه وهي قوله تعالى "{ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ**... } إلى آخر الآيات ، فيقول : " والآيات الكريمة تشير إلى " التدريبات " الربانية التي تنشئ في هذه الأمة المناعة وتطبعها بطابع القوة الحقيقية وتجعلها أسمى من ظروفها وأقوى مما يحيط بها ويجمع هذه التدريبات الابتلاء أو الاختبار الذي يبتلي الله به الناس لتصفو به نفوسهم وتتطهر من الأدران أرواحهم ويعتادون مقاومة الصعاب وتحمل الصدمات"[٣] ثم يذكر بتفصيل شيق يدلك على تدبره وتفكره في الآيات ومحاولة إصلاح الواقع بها يذكر هذه التمرينات المذكورة في الآيات وهي : الخوف والجوع والصبر على مفارقة المألوفات من مظاهر البيئة القريبة من الشخص[٤] .

---

١) السابق (ص : ٢٣١) .

٢) مقاصد القرآن الكريم – للإمام البنا – جمع أحمد سيف الإسلام (ص : ١٢٠) نقلا عن جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية – السنة الرابعة – العدد ١٣ الصادر في ١٨ ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ / ٧ يوليو ١٩٣٦ م .

٣) السابق (ص : ١٢٠) نقلا عن جريدة الإخوان الأسبوعية .

٤) السابق (ص : ١٢١) .

ثم يقول : " فإذا دَرَبت نفسه الصبر ، وقويت روحه بمقاومة الخوف ، وقوي جسمه بمقاومة الجوع ، وتحرر من أغلال البيئة وقيود المألوفات تحقق له قوله تعالى " وبشر الصابرين " يبشرهم بحسن الأجر وجزيل الثواب في الدنيا بالمناعة التي تخفف وقع المصائب ، وفي الآخرة بالنعيم المقيم"[1]

وبالعودة إلى مقالاته التفسيرية عموما يجد أن نظرة الإمام البنا رحمه الله تبارك وتعالى للقرآن الكريم أنه :" الجامع لأصول الإصلاح الاجتماعي الشامل والكامل "[2]

أخيرا يقرر الإمام البنا رحمه الله تبارك وتعالى أهمية تدبر القرآن ويحذر من القراءة بدونه إذ يقول : فليس المقصود من القرآن مجرد التلاوة أو التماس البركة – وهو مبارك حقاً – ولكن بركته الكبرى في تدبره وتفهم معانيه ومقاصده ثم تحقيقها في الأعمال الدينية والدنيوية على السواء ، ومن لم يفعل ذلك أو اكتفى بمجرد التلاوة بغير تدبر ولا عمل فإنه يخشى أن يحق عليه الوعيد الذي يرويه البخاري رحمه الله تعالى عن حذيفة رضي الله عنه :" يا معشر القُراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا وإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا"*[3]

---

[1] السابق (ص : ١٢٢) .

[2] مجموعة رسائل الإمام البنا (ص : ٩١) .

*) رواه البخاري رقم (٧٢٨٢) .

[3] مقاصد القرآن الكريم – للإمام البنا – جمع أحمد سيف الإسلام (ص : ٢٨) .

النتائج والتوصيات

أولاً : النتائج :

١- أن التدبر مفتاح خير وعز وتمكين للأمة .

٢- أن المصلحين المؤثرين في الأمة لهم علاقة خاصة بالقرآن .

٣- أننا بحاجة إلى إعادة النظر في تعاملنا مع القرآن الكريم على جميع المستويات .

٤- أن مناهج التغيير والإصلاح في المجتمع المسلم بحاجة إلى النظر في موقفها من منهج القرآن عموما والتدبر خصوصا وإعادة ترتيب وضعها وأوراقها مع منهج القرآن الكريم .

ثانيا : التوصيات :

١- العمل على إبراز أثر تدبر القرآن في التغيير والإصلاح .

٢- إبراز ونشر أثر التدبر في حياة المصلحين والمجددين في الأمة في جميع المجالات .

٣- دراسة أثر تدبر القرآن الكريم في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام حسن البنا رحمهما الله تعالى دراسة متكاملة ومتعمقة ونشرها كنموذج لدعاة التغيير والإصلاح في زماننا .

٤- التواصي والتناصح بدراسة أثر التدبر في الحياة عموما في الدراسات الأكاديمية والأبحاث المحكمة والمقالات ونحوها .

٥- نشر ثقافة تدبر القرآن في أوساط المسلمين عموما والدعاة خصوصا .

كلمة شكر

نشكر الله ونحمده كما ينبغي له ونسأله التوفيق والسداد في كل حال ، ثم نشكر الهيئة العالمية لتدبر القرآن "تدبر " على جهودهم ومشاريعهم التي تتجه نحو إحياء مهمة التدبر في الأمة سائلين المولى عز وجل أن يبارك في جهودهم وأن يسدد خطاهم ونخص بالشكر هنا القائمين على هذا المؤتمر من فكرته إلى إعداده وتجهيزاته وإدارته وكل جهد فيه

ونرجو الله أن يجز للجميع المثوبة والأجر
وصلى الله وسلم على سيد المتدبرين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين
والحمد لله رب العالمين

نبيل بن عبد المجيد النشمي

قائمة المصادر والمراجع

١. الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته – سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ) - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة

٢. التوحيد الذي هو حق الله على العبيد – محمد بن عبد الوهاب – تحقيق عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره

٣. الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده – عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع – دار التدمرية

٤. رسائل الإمام حسن البنا.

٥. الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه – الشيخ أحمد بن حجر بن طامي آل بوطامي .

٦. صحيح البخاري.

٧. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان – ابن القيم – ط : دار الكتب العلمية بيروت

٨. محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث – محمد بهجت الأثري (المتوفى: ١٤١٦هـ) - إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٩. محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه – مسعود الندوي .

١٠. مذكرات الدعوة والداعية للإمام حسن البنَّا رحمه الله تعالى .

١١. مشاهير علماء نجد وغيرهم – عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .

١٢. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر – د مساعد بن سليمان الطَّيَّار .

١٣. مقاصد القرآن الكريم للإمام حسن البنا جمع وتحقيق : أحمد سيف الإسلام حسن البنا رحمه الله تعالى

١٤. منهج محمد بن عبد الوهاب في التفسير – مسعد بن مساعد الحسيني - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٥. نظرات في كتاب الله للإمام البنا جمعه : عصام تلمية .

١٦. نظرات في كتاب الله للإمام حسن البنا – أعدها للنشر : أحمد عيسى عاشور .